الهُويَّات المغايرة للمكان في الحكاية على لسان الحيوان في (ألف ليلة وليلة) دراسة في ضوء النقد الثقافي

اعداد

سيما بنت صالح سعيد الزهرانى

باحثة الدكتوراه في الأدب والبلاغة والنقد قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة الملك عبدالعزيز –المملكة العربية السعودية

الملخص :

يدور هذا البحث حول الهويات المغايرة للمكان في الحكايات والقصص التي وردت على لسان الحيوان في كتاب ألف ليلة وليلة ، وتهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على هذه الهوية المغايرة للمكان في تلك الحكايات في ضوء النقد الثقافي، لأن المكان يُعد بمثابة علاماتٍ تشكِّل هُويَّتَه وهُويَّةَ الإنسان الذي يعيش فيه، وأيُّ تغيُّراتٍ قهريةٍ تحدُث في المكان مِن شأنها أن تُحدثَ شُروخًا في الشّقْرة العلائقية بين الإنسان والمكان.

هذا وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج ، من أهمها : أن الحكايات التي جاءت على لسان الحيوان في كتاب ألف ليلة وليلة تشبه الحكايات الواردة في (كليلة ودمنة) من حيث الأسلوب والرمزية ، كما أن حكايات الحيوانات في (ألف ليلة وليلة) حكايات مهمة ذات أنساق مضمرة مختلفة .

كلمات مفتاحية : الهُويَّات المغايرة ، الحكاية على لسان الحيوان ، ألف ليلة وليلة، النقد الثقافي

Identities that differ from place in the story through the tongue of the animal In (One Thousand and One Nights), a study in light of cultural criticism

Sima bint Saleh Saeed Al Zahrani

Doctoral researcher in Literature, Rhetoric, and Criticism, Department of Arabic Language and Literature, College of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Kingdom of Saudi Arabia.

Email: semaelzahrany.٢٠٢٥@yahoo.com

Abstract:

This research revolves around identities that are different from place in the tales and stories told by animals in the book One Thousand and One Nights. This study aims to shed light on this identity that is different from place in those tales in the light of cultural criticism, because place is considered to be signs that constitute his identity and the identity of the person who He lives in it, and any coercive changes that occur in the place would cause cracks in the relational code between man and place.

The study reached many results, the most important of which are: that the stories told by animals in the book One Thousand and One Nights are similar to the stories contained in (Kalila and Dimna) in terms of style and symbolism, and the stories of animals in (One Thousand and One Nights) are important stories. With different implicit formats.

Keywords: different identities, the story in the tongue of animals, one thousand and one nights, cultural criticism

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته الكرام أفضل الصلوات وأتم التسليم ، أما بعد

فإن المكان بوصفه مُنتِجًا لمكوّنات الهُويَّة الوطنية الثَّقافية: فالإنسانُ يُضفِي على الأفكار صِفاتِ المكان باستخدام الكثير من منظوماته الثَّقافية والاجتماعية والسِّياسية والدِّينية، وهذه المكوّناتُ هي الثَّقافةُ التي تشمل العاداتِ والتَّقاليدَ والفنونَ والآدابَ والمعارفَ، وهي مُرتكَزاتُ مُكوّنات الهُويَّة الوطنية التي تربطه بالمكان. وبعد الثَّقافة تأتي الخصوصيةُ وتَنوُّعُها؛ فإنتاجاتُ الإنسانِ الماديةُ والفكريةُ النَّاتجةُ عِن عمليات التَّفاعل مع المكان لها خصوصيةٌ مُستمَدَّةٌ من المكان، وهي إحدى ملامح هُويَّته الوطنية، وتَتجلَّى في حِرصه على الاعتزاز والتَّرويج لتلك المناشط في المحافل الدَّولية والإقليمية والمحلِّية.

كما يَحمِل المكان علاماتٍ تشكِّل هُويَّتَه وهُويَّةَ الإنسان الذي يعيش فيه، وأيُّ تغيُّراتٍ قهريةٍ تحدُث في المكان مِن شأنها أن تُحدثَ شُروخًا في الشِّقْرة العلائقية بين الإنسان والمكان، وفي تقدير الباحثة تشكِّل العلاماتُ الجغرافية للمكان جزءًا مِن هُويَّة الإنسان وكذلك المكان، أمَّا الجزءُ الآخَرُ فتُشكِّله عواملُ أخري مِثلَ الدِّين والسِّياسة والتَّاريخ والثَّقافة والاقتصاد. وتَعدُّدُ الهُويَّات أو انعدامُها - مِن وجهة نظر الباحثة- يعني الهُويَّات المغايرةَ، وهي ظاهرةٌ يُعرَّف فيها بعضُ الأفراد أو المجموعات ويوصفون بأنَّهم لا يَتناسبون مع معاييرَ مجتمعيةٍ معيَّنةٍ .

تساؤلات الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية :

ما أسباب وجود الهويات المغايرة للمكان ؟ والإجابة تتجلى من خلال مجموعة من الأسباب أدت إلى وجود هذه الهويات ، ومن هذه الأسباب : معايير منح الهُويَّة الأصلية من دَولةٍ إلى أخرى، وَتبايُنها في أساليب تطبيقها على الرَّغم مِن اتِّحادها في أُسسِ هُويَّتها الأصلية أو معاييرها، وكذلك إمكانيَّةُ تعدُّد الهُويَّات على الرَّغم مِن تَماثُل الدُّوَل في معايير الهُويَّة وأساليب تطبيقها. (العاملُ السِّياسي وفُتورُ البُعْد الكَوني في رؤى المكوّنات الحضارية) . أي إنَّ تَخيُّلَ بلوغِ الهُويَّات الاستقلالَ وتقريرَ المصير يمكِن أن يحافظَ على جَوهَريَّتها المتفرِّدة وأصالتها المُطلَقة، وهذا يعني أنَّ الهُويَّةَ لم تَعُدْ مُعطًى أنثروبيولجيًّا متشكِّلًا داخل واقعية المكان بما يؤدِّي إلى احترامِ التَّنوُّع في الكَون وعُمقِ التُّراث وقُدرته على الابتكار، بل صار تصنيعُ الهُويَّة محكومًا بهواجسَ سياسيةٍ تبحث عن بلوغِ واقعيةٍ عاجلةٍ بُغيةَ تحقيقِ مغانمَ آنيَّةٍ .

ومن التساؤلات : **هل كان لحكايات الحيوانات في (ألف ليلة وليلة) أنساق مضمرة ؟ وهل مثلت هذه الأنساق معاناة المرأة من القهر ؟** ، والإجابة : كانت هذه الحكايات معبرة عن رؤية شهرزاد المضمرة وراء تلك الحكايات ، وهي رؤية ناقدة لزوجها الملك المتعطش لسفك الدماء وقتل النساء . وفي حكايات الحيوانات أنساق مضمرة ، ومن هذه الأنساق : سعادة المظلوم بموت الظالم والتخلص من ظلمه وبطشه ، كما أن إحدى الحكايات أشارت إلى دور العقل والحكمة في النجاة من الخطر ؛ فالعقل والحكمة يحميان الإنسان من سوء أفعاله الطائشة ، والتي قد يرتكبها من دون تدبر لعواقبها . وفي بعض حكايات الحيوان طرح لفكرة الحذر من العدو ، وعدم الغفلة عنه . ففي الغفلة عن العدو خطر عظيم يؤدي إلى ضياع الوطن ، ولو تظاهر العدو بالسلام ، وجب الحذر منه .

خطة الدراسة :

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة محاور . وقد اشتمل التمهيد على مفهوم الهوية المغايرة للمكان ، والمحور الأول : نسق الأخوة والصداقة ، والمحور الثاني : نسق القهر والاستلاب ، المحور الثالث : الحذر من الخديعة ، والمحور الرابع : نسق حماية الوطن . ثم الخاتمة وفيها النتائج البارزة للدراسة ، ثم مصادر البحث ومراجعه .

منهج الدراسة :

وأما عن منهج الدراسة ؛ فقد تبنت الدراسة أدوات النقد الثقافي بصفته أحد علوم اللغة وحقول الألسنية المعنيّ بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته ، وبصفته نشاطاً نقديا يعتمد على أدوات إجرائية تنتسب إلى علوم مختلفة مثل الأنثربولوجي وعلم النفس والفلسفة للكشف عن الهويات المكانية المغايرة في ألف ليلة وليلة ، وذلك من خلال دراسة الأنساق الثقافية التي تتشكّل منها هذه الهويات ومن ثم إعادة ترتيب الحكايات من خلال الهويات المكانية .

التمهيد : مدخل إلى مفهوم الهوية المغايرة

يعود مفهوم الهوية إلى ارتباطها بالمجتمع بالدَّرجة الأولى؛ فهي العلامةُ والخصائصُ التي تُميّز الفردَ عن غيرهـ أو المجتمعَ عن غيره من المجتمعات؛ إذْ لا بُدَّ مِن ارتباط الشَّخص بالمحيطين به؛ فلا يمكِن للفرد أن يعيشَ منعزلًا مِن أجْل الاستمتاع بحياته؛ ومِن هنا يسعى الإنسانُ بطبيعته إلى إقامة علاقاتٍ مع المجتمع المحيط به .

وقد أثار مصطلحُ الهُويَّة جِدالًا عند المفكِّرين قديمًا وحديثًا، وحمل صعوبةً في معناه؛ "فبالرَّغم مِن البساطة الظَّاهرية التي يَتبدَّى فيها مفهومُ الهُويَّة فإنَّه - وعلى خِلاف ذلك- يتضمَّن درجةً عاليةً من الصُّعوبة والتَّعقيد والـمُشاكَلة؛ وذلك لأنَّه بالغُ التَّنوُّع في دلالاته واصطلاحاته"[١].

ووردت الـمُغايَرةُ في معاجم اللُّغة بمعنى المخالَفة والمخالَفةُ وَفْقَ المنطق تكون لثابتٍ[٢]؛ وهذا يعني صراعًا بينهما يسعى إلى المحْوِ أو على الأقلِّ احتفاظِ المغاير بكينُونته المعقولة أمام الثَّابتِ الأصلي المتغوّل، ويمكِننا الاستعانةُ بهذا المعنى المعجمي في حديثنا عن الهُويَّات المغايِرة؛ لأنَّ الـمُخالَفةَ ثيمةٌ أساسيةٌ فيها "الأصلُ أنَّ المألوفَ في رابطة الهُويَّة يتمثَّل في كَونها رابطةً واحدةً تجمع فردًا واحدًا في دولةٍ واحدةٍ لا أكثرَ ولا أقلَّ مِن ذلك، (وهذا ما يُنعت بالهُويَّة المعيارية أو القاعدية)، فإنْ كَثُرتْ أو قلَّتْ كان ذلك شذوذًا في الرَّابطة، وهو ما يتحقَّق في صُورتَين؛ إحداهما هي تَعدُّدُ الهُويَّات، والأخيرة هي انعدامُ الهُويَّة (شخصٌ لا تعتبره أيَّةُ دَولةٍ رَعيَّةً لها، أو هو شخصٌ لا ينتمي إلى دَولةٍ مُعيَّنةٍ بجنسيَّته ومحرومٌ قانونيًّا منها"[٣].

والهُويَّات المغايرة - مِن وجهة نظر الباحثة- يمكن أن تشمل بعض الأفراد أو المجموعات ويوصفون بأنَّهم لا يَتناسبون مع معاييرَ مجتمعيةٍ معيَّنةٍ .

---

(١) أليكس ميكشللي، الهوية، ترجمة: عليّ وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط١، ١٩٩٣م، ص٧.
(٢) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، مجمع اللغة العربية. القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م، ٦٦٨/٢
(٣) ينظر: حسام الدين فتحي ناصف، مشكلات الجنسية، دار النَّهضة العربية، القاهرة،٢٠٠٧م، ص ٣٠.

ويُضاف إلى ذلك أنَّ المُخالَفةَ في تعدُّد الهُويَّات تكون داخليةً بين هذه المُغايَرات أو مع الهُويَّة الاعتبارية أو القاعدية، أمَّا في حال الهُويَّة المنعدمة فإنَّ المخالَفةَ تكون داخليةً ضِمنيَّةً مع الهُويَّة التي فُرِّط فيها، وخارجيةً مع الهُويَّة التي تسعى للحصول عليها. يضاف إلى هذا تَعدُّدُ الهُويَّات الذي يُقصَد به أن يَثبُت للفرد الواحد هُويَّتان أو أكثرُ في الموقف ذاته؛ لأنَّ "تَعدُّدَ الهويات لا يتنافى مع الفكرة الاجتماعية في الجنسية التي تقتضي اندماج الفرد في الجماعة الوطنية للدولة لأكثر من دولة في وقت واحد"[١].

أسباب وجود الهُويَّات المغايرة وأشكال المغايَرة بينها ومحاولات الاحتواء:

رصدت الباحثةُ عواملَ وجود الهُويَّات المغايرة في صُوَرها المختلفة التي أشارت إليها في بداية الحديث، وتَزامُنًا مع ذلك أشارت إلى المغايَرة فيما بينها والهُويَّة الأصلية؛ وذلك على النَّحو الآتي:

١- **اختلافُ معايير منح الهُويَّة الأصلية من دَولةٍ إلى أخرى**، وَتبايُنها في أساليب تطبيقها على الرَّغم مِن اتِّحادها في أُسسِ هُويَّتها الأصلية أو معاييرها، وكذلك إمكانيَّةُ تعدُّد الهُويَّات على الرَّغم مِن تَماثُل الدُّوَل في معايير الهُويَّة وأساليب تطبيقها"[٢]. (العاملُ السِّياسي وفُتورُ البُعْد الكَوني في رؤى المكوّنات الحضارية).

أي إنَّ تَخيُّلَ بلوغِ الهُويَّات الاستقلالَ وتقريرَ المصير يمكِن أن يحافظَ على جَوهَريَّتها المتفرِّدة وأصالتها المُطلَقة، وهذا يعني أنَّ الهُويَّةَ لم تَعُدْ مُعطًى أنثروبيولجيًّا متشكِّلًا داخل واقعية المكان بما يؤدِّي إلى احترامِ التَّنوُّع في الكَون وعُمقِ التُّراث وقُدرته على الابتكار، بل صار تصنيعُ الهُويَّة محكومًا بهواجسَ سياسيةٍ تبحث عن بلوغِ واقعيةٍ عاجلةٍ بُغيةَ تحقيقِ مغانمَ آنيَّةٍ.

وقد انسحب هذا التَّخيُّلُ على التَّجمُّعات البشَريَّة التي الْتأمتْ في الشَّتات والمَهجَر؛ فالانتماءُ إلى حضارات الشَّرق كان مع المهاجرين الأوائل إلى بريطانيا مِن المحدِّدات الرَّمزية الرَّئيسية التي تتيح للفرد رسمَ مَعالِمِ هُويَّته اجتماعيًّا، ولكنَّه فقد أَلَقَه مع الأجيال اللَّاحقة التي تَعلَم هُويَّةَ آبائها، ولكنَّ سِيرتَها الذَّاتيةَ الشَّخصيةَ مصبوغةٌ بتَجرِبةٍ اجتماعيةٍ مغايرةٍ هي التَّجرِبةُ الإنجليزية"[٣].

٢- **تَصلُّبُ مضامينِ الهُويَّة وهواجسُ الرِّفعةِ والتَّفرُّدِ القارَّةُ فيها:** يتجلَّى ذلك في الواقع الأوروبي؛ مِثلَ الهُويَّةِ الوطنية الفِرنسية والهُويَّة الوطنية الألمانية، والهُويَّاتِ الوافدة والمقيمين؛ فهُما - أي الألمانيةُ والفرنسيةُ- متماثلتان في القِيَمِ المشترَكة واللُّغة والدِّيانة التي نشأتا عليها، والمكانِ الذي تَشكَّلتا فوقه عبر الزَّمان، أمَّا الوافدةُ والمقيمة فلا تُقاسِمُها تُراثَها العريقَ الذي وَرِثتْه مِن الماضي وهو ما يميِّزها عن غَيرها"[٤].

---

[١] مجموعة مؤلفين ، القانون الدَّولي الخاص، في الجنسية والمُواطن ومركز الأجانب، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١١، ١٩٨٧م، ص٢٤.

[٢] ينظر: حسام الدين فتحي ناصف، مشكلات الجنسية، دراسة مقارنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص١٠وما بعدها.

[٣] ينظر: إنزو باتشي، الإسلام في أوروبا، أنماط الاندماج، ترجمة : عزّ الدين عناية، كلمة، أبو ظبي، ٢٠١٠، ص٧٢.

[٤] ينظر : كولومبو، جمعياتٌ متعدِّدة الثَّقافات، روما، كاروتشي، ٢٠٠٢م، ص٧٦.

٣- **التَّدافُع بين الهُويَّات:** أوجد هذا التَّدافعُ تَعاليًا فظًّا مِن جانب الغالب وتواضُعًا من جانب المغلوب، وأدَّى إلى صِدام أو تسييج؛ أي تحوُّلِ هذه الهُويَّات إلى غيتواتٍ هي إعادةُ إنتاجٍ اضطراريٍّ للهُويَّة الأصلية تحت إحساس الضَّيْم والرَّفض مِن الهُويَّةِ الكبرى "هُويَّةِ المجتمع المضيف، وتَعدَّى هذا الإنتاجُ الاضطراريُّ الأنشطةَ الخِدماتيةَ والخِدَميةَ العامَّةَ إلى بناء مدارسَ ونَوادٍ وكنائسَ ومعابدَ خاصَّةٍ تحتمي بها"(١).

٤- **الظُّلم الاجتماعي:** يولِّد الظُّلمُ الاجتماعي تَنافُرَ الهُويَّات فتُضطرُّ الهُويَّةُ المستضعَفة إلى الدِّفاع عن مجالها الرَّمزي؛ وهي مخزونٌ رمزي تُكسِبه التَّراكماتُ التَّاريخية المرءَ ليَنجُوَ من حالة الامِّحاء والتَّفسُّخ والعدم، وفي المقابل يُنتج الإنصافُ الدَّاعي إلى تَمازُج الهُويَّات وتَعايُشها تفكيرًا يوميًّا في الهُويَّة على أيَّةِ شاكلةٍ تكون، وبالاحتكاك يتنبَّه إلى معرفة ما إذا كانت هُويَّتُه مدحورةً أو مقبولةً.

٥- **هَوَس الهُويَّات:** إنَّ هذا الهَوَسَ الذي هَيمَن على الهُويَّات جعلها تُحقِّر الهُويَّاتِ المغايرةَ فقَبِلتْه إلى حينٍ إلى أن تأتيَ فرصةُ التَّمرُّد على ما فُرض عليها فتُطالب برَدِّ الاعتبار إلى الهُويَّة المصادَرة؛ "فكلَّما كانت الهُويَّةُ مُستنبِطةً لمخزونٍ ثقافيٍّ على درجةٍ عالية من الدِّينامِيكية والقدرة على بلوغ التَّوازن ضِمنَ لُعبة تدافُع الهُويَّات كان الثَّقافيُّ الهُووي- أي ثقافةُ الهُويَّة الأصلية- مُقتدرًا على الإمساك بشروط الحِفاظ على عناصر الهُويَّة العميقة، ومِن ثَمَّ على الإثراءِ والتَّطوير"(٢).

ولا يقف الأمرُ عند الحِفاظ والإثراء والتَّطوُّر، بلْ إنَّه ينتقل في حالة المسلمين في الدُّول الغربية مثلًا إلى توريثِ الهُويَّة الرَّمزية من خلال بناء النَّوادي والمدارس وجلبِ الأولاد إلى المساجد في الأعياد والاحتفالات لتعليمهم تعاليمَ دِينِهم ولُغة أسلافهم، وهذا "إحساسٌ بنِدِّيَّةٍ حضاريةٍ لا تحتكم إلى ظاهر التَّمدُّن الذي يتفوَّق فيه الغالبُ ويُعرِب عن إيمانٍ عميقٍ بالهُويَّة الحضارية الأصيلة"(٣).

والانتماء من مُرتكَزات تشكيل الهُويَّة، وتتمثَّل في الاطمئنانِ، والرَّاحة، والحُبِّ، والحمايةِ، وهذه مؤشِّراتُ استقرار؛ فكلَّما ازدادت دعائمُ الاستقرار في المكان ازداد سُلوكُ الانتماء للمكان عند الإنسان، وبقَدْرِ ما يتنامى التَّفاعلُ بين الإنسان والمكان يتنامى شعورُ الارتباط بالمكان متمثِّلًا في كثيرٍ من السُّلوكيات والقِيَم والاتِّجاهات الإيجابية؛ مِثلَ: المحبَّةِ والاعتزازِ، والولاءِ والانتماء والبِناءِ، وهي صُوَرٌ من صُوَر هُويَّة الإنسان وانتمائه للمكان.

ولا يتوقَّف أثرُ المكان على تشكيل هُويَّته الإنسان، بل يطُول تكوينَ أنماط حياة الإنسان؛ "فهو يعيش فيه، ويتطوَّر فِكرُه وتنمو شخصيَّتُه وتتغيَّر مشاعرُه بحسَب المكان الذي يعيش فيه؛ فقد يكون تعيسًا إذا ما عاش في السِّجن، أو يكون سعيدًا إذا ما عاش في مكانٍ تَحُفُّه الحدائقُ وتشدُو فيه الأطيارُ، وقد يصبح قَلِقًا خائفًا إذا رماه قَدَرُه على جزيرةٍ نائية في عُرض البحر"(٤)، وفي مُوازاة ذلك يُجري الإنسانُ تغييرًا وتبديلًا للمكان للهيمنة عليه من خلال إثبات وجوده وكينُونته"؛ فيبني القصورَ ويشيِّد

---

(١) ينظر: عزّ الدين عناية، الهُويَّات المستنفرة ومعارج الإيلاف، موقع إلكتروني،٢٠٢١/٥/٢٠، تاريخ الزيارة،٢٠٢٤/٨/٢٠.

(٢) عزّ الدين عناية، الهُويَّات المستنفرة ومعارج الإيلاف، موقع إلكتروني،٢٠٢١/٥/٢٠، تاريخ الزيارة،٢٠٢٤/٨/٢٠.

(٣) عزّ الدين عناية، الهُويَّات المستنفرة ومعارج الإيلاف، موقع إلكتروني،٢٠٢١/٥/٢٠، تاريخ الزيارة،٢٠٢٤/٨/٢٠.

(٤) ينظر: سلافة صائب خضير تسليم، أبعاد المكان وأثرها، مجلة فصلية مُحكَّمة، السَّنة الثَّالثة، المجلَّد الخامس، العدد: التاسع والعاشر، ٢٠١٩م ، ص ٩٥ .

الحصونَ ويُعظِّم بناءَ القِلاع ويُعبِّد الطُّرقَ ويهندس الحدائقَ الغَنَّاءَ في محاوَلةٍ منه لإثبات وجوده وتعزيز سيطرته وإثبات هُويَّته"[١].

فالمكان بوصفه مُنتِجًا لمكوِّنات الهُويَّة الوطنية الثَّقافية: فالإنسانُ يُضفِي على الأفكار صِفاتِ المكان باستخدام الكثير من منظوماته الثَّقافية والاجتماعية والسِّياسية والدِّينية، وهذه المكوِّناتُ هي الثَّقافةُ التي تشمل العاداتِ والتَّقاليدَ والفنونَ والآدابَ والمعارفَ، وهي مُرتكَزاتُ مُكوِّنات الهُويَّة الوطنية التي تربطه بالمكان. وبعد الثَّقافة تأتي الخصوصيةُ وتَنوُّعُها؛ فإنتاجاتُ الإنسانِ الماديةُ والفكريةُ النَّاتجةُ عِن عمليات التَّفاعل مع المكان لها خصوصيةٌ مُستمَدَّةٌ من المكان، وهي إحدى ملامح هُويَّته الوطنية، وتَتجلَّى في حِرصه على الاعتزاز والتَّرويج لتلك المناشط في المحافل الدَّولية والإقليمية والمحلِّية.

المحور الأول : نسق الأخوة والصداقة

جاءت الحكاية على لسان الحيوان وهي من الحكايات الرمزية لانتقاد السلطة الحاكمة، وهذا الأسلوب مشابه لأسلوب (كليلة ودمنة) ، فيعمد السارد إلى أسلوب الرمز هروبا من عقاب السلطة الحاكمة التي لا تقبل انتقادا من المحكومين ، أو الطبقة المثقفة من المحكومين ، ويمثلها : الأدباء والشعراء والخطباء . فمن القهر: هدر السلطة للأدباء والمثقفين، وبطشها بأصحاب الفكر المستنير من المثقفين؛ فالأنظمة القمعية القديمة تعمدت إلى قهر المثقفين من أجل السيطرة على المحكومين، فشعب من دون نخبة مثقفة واعية تقوده إلى الحرية والوعي يمكن استغلاله بسهولة إلى حد استعداد المواطن المقهور للدفاع عن قاهره المتسلط عليه والولاء له، بعد تغييب وعي الجماهير فيتم الرضوخ إلى قهر السلطة [٢] ، وهذا ما سعت حكايات شهرزاد لطرحه.

ومن حكايات الحيوانات التي سردتها شهرزاد على زوجها الملك : حكاية السلحفاة وطائر الماء ، وهي حكاية ترمز للأخوة والصداقة الحقيقية . ومن دون صديق وفيها يشعر المرء بالغربة النفسية عن الناس ، ويدفع الاغتراب النفسي إلى العزلة الذاتية " لأن الإنسان المغترب يفتقر إلى الإحساس بالتوافق والانسجام النفسي فيرفض الاتصال بالآخرين وينكفئ على نفسه ، ويستسلم لفكرة الابتعاد عن الناس ؛ فتصبح عزلة الفرد شكلا من أشكال السجن الذاتي المفضي إلى الجنون . كما أن طريقة تفكير الشخص المصاب بالعزلة تعد عقبة أمام خروج الإنسان منها " [٣] .

يقول السارد : " زعموا أيها الملك أن طائرًا طار وعلا إلى الجو، ثم انقض على صخرة في وسط الماء، وكان الماء جاريا، فبينما الطائر واقف على الصخرة، وإذا برمة إنسان جرها الماء حتى أسندها إلى الصخرة، ووقفت تلك الجيفة في جانب الصخرة، وارتفعت لانتفاخها؛ فدنا منها طير الماء وتأملها فرآها رمة ابن آدم، وظهر له فيها ضرب السيف وطعن الرماح، فقال في نفسه: إن هذا المقتول كان شريرًا، فاجتمع عليه جماعة وقتلوه، واستراحوا منه ومن شره. ولم يزل طير الماء يكثر التعجب من تلك الرمة حتى رأى نسورًا وعقبانًا أحاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها، فلما رأى ذلك

---

[١] حسن بحراوي، بنية الشَّكل الرّوائي، الفضاء والزَّمان، الشَّخصية. دار الحداثة للطَّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، لبنان ط١، ١٩٨٦م، ص٩٤.

(٢) ينظر : مصطفى حجازي ، الإنسان المهدور (دراسة تحليلية نفسية اجتماعية) ، ص ٧٤ .
(٣) ينظر : نيقولاي برديائف ، العزلة والمجتمع ، ترجمة : فؤاد كامل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٣٩ .

طير الماء جزع جزعًا شديدًا وقال: لا صبر لي على الإقامة في هذا المكان. ثم طار منه يفتش على موضع يأويه إلى حين نفاد تلك الجيفة، وزوال سباع الطير عنها، ولم يزل طائرًا حتى وجد نهرًا في وسطه شجرة، فنزل عليها كئيبًا حزينا على بعده عن وطنه، وقال في نفسه لم تزل الأحزان تتبعني، وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة، وفرحت بها فرحًا شديدًا، وقلت: هذا رزق ساقه الله إلي. فصار فرحي غما وسروري حزنًا وهما، وافترستها سباع الطير مني، وحالوا بينها وبيني، فكيف أرجو أن أكون سالما في هذه الدنيا وأطمئن إليها ؟ وقد قيل في المثل: الدنيا دار من لا دار له يغتر بها من لا عقل له، ويطمئن إليها بماله وولده، وقومه وعشيرته، ولم يزل المغتر بها راكنا إليها يختال فوق الأرض حتى يصير تحتها، ويحثو عليه التراب أعز الناس عليه، وأقربهم إليه، وما للفتى خير من الصبر على مكارهها، وقد فارقت مكاني ووطني وكنت كارها الفرقة إخواني وأصحابي " [١]،

فالمقطع السابق يكشف عن رؤية فلسفية في تلك الحكاية ، وهي سعادة المظلومين بهلاك الظالم ، والظالم في تلك الحكاية رمزه جثة القتيل الإنسي . ثم محاولة طائر الماء لمغادرة وطنه بسبب الطيور الجارحة من النسور وغيرها . ثم غادر الطائر إلى نهر يبعد عن المكان الذي نشأ فيه الطير ، كما نجد السرد يشتمل على بعض التجارب والحكمة ، ومن ذلك (الدنيا دار من لا دار له يغتر بها من لا عقل له، ويطمئن إليها بماله وولده، وقومه وعشيرته، ولم يزل المغتر بها راكنا إليها يختال فوق الأرض حتى يصير تحتها) . فهذه العبارات توحي بخطأ الإنسان في طول أمله حتى يأتيه الموت بغتة ، ثم يصير تحت التراب . فهوية الطائر تحمل نسقا مضمرا من وراء تلك الحكاية ، وهو تغير الأحوال ويمثل ذلك سعادة الطائر بالتخلص من الإنسي الظالم ، ولكن هذه السعادة لم تدم ؛ حيث وفدت الطيور الجارحة إلى المكان ؛ فخاف طائر الماء على نفسه فغادر تلك البقعة التي تمثل وطنه الذي نشأ وترعرع وعاش فيه .

يقول السارد : " فبينما هو في فكرته، وإذا بذكر من السلاحف أقبل منحدرا في الماء، ودنا من طير الماء وسلم عليه، وقال: يا سيدي ما الذي أبعدك عن موضعك؟ قال: حلول الأعداء فيه، ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوه، فقال له السلحف إذا كان الأمر كما وصفته، والحال مثل ما ذكرتها، فأنا لا أزال بين يديك، ولا أفارقك لأقضي حاجتك، وأفي بخدمتك، فإنه يقال: لا وحشة أشد من وحشة الغريب المنقطع عن أهله ووطنه، وقد قيل: إن فرقة الصالحين لا يعدلها شيء من المصائب ومما يسلي به العاقل نفسه الاستئناس في الغربة، والصبر على الرزية والكربة، وأرجو أن تحمد صحبتي لك، وأكون لك خادمًا ومُعينًا، فلما سمع طير الماء مقالة السلحف قال له: لقد صدقت في قولك، ولعمري إني وجدت للفراق ألما وغما مدة بعدي عن مكاني، وفراقي لإخواني وخلاني؛ لأن في الفراق عبرة لمن اعتبر، وفكرة لمن تفكر، وإذا لم يجد الفتى من يسليه من الأصحاب، ينقطع **عنه** الخير أبدًا، ويثبت له الشر سرمدا، وليس للعاقل إلا التسلي بالإخوان عن الهموم في جميع الأحوال **"** [٢] ,

ففي المقطع السابق يمثل ذكر السلحفاة صوت العقل والصديق الوفي الناصح ، والصداقة من الأمور التي يحتاجها الإنسان ولا يستغني عنها ؛ فالصديق المؤمن مرآة أخيه ، والصديق الصالح مثل حامل المسك ، والصديق السوء مثل نافخ الكير أو الحداد . والنسق المضمر هنا يتمثل في حسن اختيار الصديق في ديار الغربة بعد مغادرة الوطن ؛ فإن الصديق الوفي في بلاد الغربة يمثل أخا

(١) ألف ليلة وليلة ، ج٢ ، ص ١١٠ .
(٢) ألف ليلة وليلة ، ج٢ ، ص ١١٠ – ١١١ .

ومعينا لصديقه . كما أن حكمة السلحفاة تمثلت في رؤيتها الصادقة للأمور ، وذلك من خلال عبارة (إذا لم يجد الفتى من يسليه من الأصحاب، ينقطع عنه الخير أبدًا، ويثبت له الشر سرمدا، وليس للعاقل إلا التسلي بالإخوان عن الهموم في جميع الأحوال) . والسلحفاة طائر بطيء الحركة ، وهنا تصوير فيه مفارقة بين حركة الطائر وحديثه الذي برز فيه صوت الحكمة وتدبر عواقب الأمور ، وصوت ذكر السلحفاة يمثل العقل والحكمة ، ويحمل نسقا مضمرا يرمز لحاجة الهوية المغايرة للمكان إلى صديق أمين يساعدها في الغربة .

المحور الثاني : نسق القهر والاستلاب :

ومن حكايات الحيوانات : حكاية الثعلب والذئب ، وفي تلك الحكاية يتجسد قهر الذئب للثعلب واستلابه له . وظهر ذلك من خلال توظيف تلك الشخصيات في الحكاية ، وتوزع هذه الوظائف بين الشخصيات ، كما أن العديد من الوظائف يتم تجميعه منطقيا ضمن حقول عمل ، وتحتوي القصة - غالبا - على سبعة حقول " فحقل عمل الشرير يحتوي الإساءة والمعركة وأنواع الصراع الأخرى ضد البطل ومطاردته ، وحقل المانح يحتوي على الأداة السحرية ووضعها تحت تصرف البطل ، وحقل عمل المساعد يحتوي على نقل البطل وسد حاجته ونجدته وتجليه ، وحقل عمل الشخصية الإيجابية يكون في القيام بمهمات صعبة والتعرف على البطل الحقيقي ومعاقبة البطل المزيف ، والزواج . وحقل الطالب يكون في الانتقال ، وحقل المزيف في دوره السلبي ضد البطل ورحيل المزيف ، وحقل عمل البطل يحتوي الرحيل من أجل البحث ورد الفعل على مطالب المانح والزواج " [١] .

يقول السارد : " إن الذئب قال للثعلب: لا تتكلم فيما لا يعنيك، تسمع ما لا يرضيك. فقال له الثعلب: سمعا وطاعة، فأنا بمعزل عما لا يرضيك، فقد قال الحكيم: لا تخبر عما لا تسأل عنه، ولا تُجب ما لا تُدعى إليه، وذر الذي لا يعنيك إلى ما يعنيك، ولا تبذل النصيحة للأشرار فإنهم يجزونك عليها شرا. فلما سمع الذئب كلام الثعلب تبسم في وجهه، ولكنه أضمر له مكرًا، وقال: لا بد أن أسعى في هلاك هذا الثعلب. وأما الثعلب فإنه صبر على أذى الذئب، وقال في نفسه: إن البطر والافتراء يجلبان الهلاك، ويوقعان في الارتباك، فقد قيل: من بطر خسر، ومن جهل ندم، ومن خاف سلم، والإنصاف من شيم الأشراف، والآداب أشرف الاكتساب، ومن الرأي مداراة هذا الباغي، ولا بد له من مصرع. ثم إن الثعلب قال للذئب: إن الرب يعفو ويتوب على عبده إن اقترف الذنوب، وأنا عبد ضعيف وقد ارتكبت في نصحك التعسيف، ولو علمت بما حصل لي من ألم لطمتك، لعلمت أن الفيل لا يقوم به ولا يقدر عليه، ولكني لا أشتكي من ألم هذه اللطمة بسبب ما حصل لي بها من السرور، فإنها وإن كانت قد بلغت مني مبلغا عظيمًا عاقبتها سرور، وقد قال الحكيم: ضرب المؤدب أوله صعب شديد، وآخره أحلى من العسل المصفى. فقال الذئب: غفرت ذنبك، وأقلت عثرتك، فكن من قوتي على حذر، واعترف لي بالعبودية، فقد علمت قهري لمن عاداني. فسجد له الثعلب، وقال له: أطال الله عمرك، ولا زلت قاهرا لمن عاداك " [٢]،

فالمقطع السابق يجسد قهر الذئب للثعلب ، والذئب رمز للمستبد ، والثعلب رمز للمقهور الذي لا يملك حيلة للخروج من دائرة هيمنة الظالم المستبد عليه . فالهوية المقهورة تعجز عن تحقيق ذاتها في

---

(١) ينظر : فلاديمير بورب ، مورفولوجيا القصة ، ترجمة عبد الكريم حسن وسميرة بن عمو، شراع للطباعة والنشر، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٦م ، ص ٩٨ .

(٢) ألف ليلة وليلة ، ج٢ ، ص ١١٣ .

محيطها الاجتماعي ؛ فتبطش بعض الفئات المتسلطة بالفئات المستضعفة ، وهذا يعكس خللا اجتماعيا ؛ ففي مجتمعات القهر يفرض على المرء القمع والطغيان والطاعة العمياء من دون نقاش ، ويغرس في الإنسان الانكسار الذي يجعل من الفرد تربة خصبة للقهر . كما أن السلطة العصبية التي يمثلها الذئب تشكل وعي الفرد – الثعلب - وفق رؤيتها ، بما يضمن لها البقاء في السيطرة على مقاليد الأمور . ومن أجل بقائها توهم المحكومين بوقوع اعتداءات خارجية محتملة يجب التصدي لها دفاعا عن الوطن ، وذلك بعد أن يختزل الظالم المستبد التفكير المستقل للإنسان – الثعلب - نتيجة السيطرة على تفكيره وعاطفته (١) .

ثم استطاع الثعلب بحكمته التخلص من الذئب ، يقول السارد : " اشتهر أن بعض الناس يعمل صورة الثعلب في الكرم حتى يقدم إليه العنب في الأطباق لأجل أن يرى ذلك الثعلب فيقدم إليه فيقع في الهلاك، وإني أرى هذه الكلمة مكيدة، وقد قيل: إن الحذر نصف الشطارة. ومن الحذر أن أبحث عن هذه الكلمة وأنظر لعلي أجدها أمرًا يؤدي إلى التلف، ولا يحملني الطمع على أن ألقي نفسي في الهلكة. ثم دنا منها وطاف بها وهو محاذر، فرآها ، فإذا هي حفرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذي يفسد الكرم، ورأى عليها غطاء رقيقًا، فتأخر عنها وقال: الحمد لله حيث حذرتها، وأرجو أن يقع فيها عدوي الذئب الذي نغص عيشي، فأستقل بالكرم وحدي وأعيش فيه آمنا. ثم هز رأسه وضحك ضحكا عاليًا،.. انطلق مسرعًا حتى وصل إلى الذئب، وقال: إن الله سهل لك الأمور إلى الكرم بلا تعب، وهذا من سعادتك، فهنيئا لك بما فتح الله عليك، وسهل لك من تلك الغنيمة والرزق الواسع بلا مشقة. فقال الذئب للثعلب: وما الدليل على ما وضعت؟ قال: إني انتهيت إلى الكرم فوجدت صاحبه قد مات، ودخلت البستان فرأيت الأثمار زاهية على الأشجار. فلم يشك الذئب في قول الثعلب، وأدركه الشره... فلما انتهى الذئب إلى الحفرة، قال له الثعلب: ادخل إلى الكرم فقد كفيت مئونة هدم حائط البستان، وعلى الله تمام الإحسان. فأقبل الذئب ماشيًا يريد الدخول إلى الكرم، فلما توسط غطاء الحفرة وقع فيها، فاضطرب الثعلب اضطرابًا شديدًا من السرور والفرح " (٢)،

فحيلة الثعلب ضد الذئب ونجاحه في التخلص منه رمز للتخلص من الظالمين الذين يستلبون حياة الناس وحريتهم وكرامتهم ، وقد رمز لهم السارد بالذئب الذي يمثل صوت الافتراس والدماء ، والثعلب يمثل مراوغة واحتيال المظلومين للتخلص من الظالم . إن هذه المقاطع من الحكاية تمثل رغبة الإنسان في التخلص من كل من يظلمه ويقهره ، ويصبر وينتظر الوقت المناسب للتخلص من الظالم . وحرية الإنسان أغلى ما يملكه في حياته، ويدافع عنه بكل قوته ضد من يقهره ويحرمه من حياة كريمة تليق به ، ويحقق فيها ذاته .

المحور الثالث : نسق الحذر من الخديعة :

وفي حكاية الثعلب والغراب وهي حكاية رمزية تهدف إلى التحذير من الخديعة ، والتنبيه على ضرورة اليقظة وتدبر عواقب الأمور . ودار السرد في شكل محور الرغبة وهو المحور الأول من محاور أدوار الهوية داخل الحكايات ، وهو متعلق بالذات الفاعلة والموضوع " فالذات الفاعلة هي الشخصية المحورية التي تعطي الحركة في القصة، وهذه الحركة تكون وليدة رغبة أو احتياج أو خوف . والموضوع يمثل الهدف المقصود أو المرغوب فيه، أو مصدر الخوف والانزعاج، ويكون

(١) ينظر : مصطفى حجازي ، الإنسان المهدور (دراسة تحليلية نفسية اجتماعية) ، ص ٧٣ – ٧٤ ،
(٢) ألف ليلة وليلة ، ج٢ ، ص ١١٤ .

الموضوع ماديا مثل إعادة شيء مفقود أو شخص غائب ، أو معنويا عندما يمثل قيمة من القيم مثل تحقيق الذات وتقدير الآخر لها . والذات في علاقة الرغبة إما أن تكون في حال اتصال أو انفصال عن الموضوع؛ فإن كانت في حال انفصال عن الموضوع فإنها تسعى إلى الاتصال به وتحقيقه ، وإن كانت الذات في حال اتصال بالموضوع فإنها تسعى إلى الانفصال عنه ، فعلاقة الرغبة بين الذات والموضوع تمر عبر ملفوظ الحالة الذي يجسد الاتصال أو الانفصال ، كما تمر بعد ذلك عبر ملفوظ الإنجاز الذي يجسد تحولا اتصاليا أو انفصاليا " (١) .

يقول السارد : " وحكي أن ثعلبا سكن في بيت في الجبل، وكان كلما ولد ولدًا واشتد ولده أكله من الجوع وإن لم يأكل ولده أضر به الجوع، وكان يأوي إلى ذروة ذلك الجبل غراب، فقال الثعلب في نفسه: أريد أن أعقد بيني وبين هذا الغراب مودة، وأجعله لي مؤنسا على الوحدة معاونا على طلب الرزق؛ لأنه يقدر من ذلك على ما لا أقدر عليه فدنا الثعلب من الغراب حتى صار قريبا منه بحيث يسمع كلامه، فسلم عليه ثم قال له: يا جاري، إن للجار المسلم على الجار المسلم حقين؛ حق الجيرة، وحق الإسلام، وأعلم بأنك جاري ولك علي حق يجب قضاؤه، خصوصًا مع طول المجاورة، على أن في صدري وديعة من محبتك دعتني إلى ملاطفتك، وبعثتني على التماس أخوتك، فما عندك من الجواب؟ فقال الغراب للثعلب: اعلم أن خير القول أصدقه، وربما تتحدث بلسانك ما ليس في قلبك، وأخشى أن تكون أخوتك باللسان ظاهرا، وعداوتك في القلب؛ لأنك آكل وأنا مأكول، فوجب لنا التباين في المحبة، ولا يمكن مواصلتنا، فما الذي دعاك إلى طلب ما لا ندرك، وإرادة ما لا يكون وأنت من جنس الوحوش وأنا من جنس الطير، وهذه الأخوة لا تصح. فقال له الثعلب: إن من علم موضع الأخلاء فأحسن الاختيار فيما يختاره منها ربما يصل إلى منافع الإخوان وقد أحببت قربك واخترت الأنس بك؛ ليكون بعضنا عونا لبعض على أغراضنا، وتعقب مودتنا نجاحا " (٢)،

ثم سعى الثعلب إلى إقناع الغراب بصداقتهما، وأن بعض المخلوقات كان بينها صداقة، ومن هذه المخلوقات: فأر وبرغوث، وكان ذلك محاولة من الثعلب بإقناع الغراب بصداقتهما ، وهذا تواصل بين هويتين رئيستين في الحكاية ، ويقوم التواصل بينهما على غدر وتضليل من الطرف الماكر في الحكاية وهو الثعلب ، وترقب للأمور من الطرف الآخر وهو الغراب ، ومن المعروف أن طائر الغراب من أذكى المخلوقات ، ولا يستطيع مكر الثعلب التغلب عليه بسهولة .

يقول السارد : " فقال له الثعلب: اسمع يا خليلي، يُحكى عن برغوث وفأرة ما يُستدل به على ما ذكرته لك. فقال الغراب: وكيف كان ذلك ؟ فقال الثعلب: زعموا أن فارة كانت في بيت رجل من التجار كثير المال، فأوى البرغوث ليلة إلى فراش ذلك التاجر، فرأى بدنا ناعما وكان البرغوث عطشانا فشرب من دمه، ووجد التاجر من البرغوث ألما، فاستيقظ من النوم واستوى قاعدًا، ونادى بعض أتباعه فأسرعوا إليه، وشمَّروا عن أيديهم يطوفون على البرغوث؛ فلما أحس البرغوث بالطلب ولى هاربًا، فصادف جحر الفأرة فدخله، فلما رأته الفأرة قالت له: ما الذي أدخلك علي ولست من جوهري ولا من جنسي، ولست بأمن من الغلظة عليك ولا مضارتك ؟ فقال لها البرغوث: إني هربت إلى منزلك وفزت بنفسي من القتل، وأتيتك مستجيرا بك، ولا طمع لي في بيتك، ولا يلحقك مني شر

(١) ينظر : حميد لحمداني ، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩١م ، ص ٣٤ .

(٢) ألف ليلة وليلة ، ج٢ ، ص ١٢٤ .

يدعوك إلى الخروج من منزلك، وإني أرجو أن أكافئك على إحسانك إلي بكل جميل، وسوف تحمدين عاقبة ما أقول لك. فلما سمعت الفأرة كلام البرغوث قالت: إذا كان الكلام على ما أخبرت فاطمئن هنا وما عليك بأس، ولا تجد إلا ما يسرك، ولا يصيبك إلا ما يصيبني، وقد بذلت لك مودتي، ولا تندم على ما فاتك من دم التاجر، ولا تأسف على قُوتِكَ منه، وارض بما تيسر لك من العيش؛ فإن ذلك أسلم لك "(١).

فالفأرة أقنعت البرغوث بصداقتهما ، وحثته على البقاء معها في مسكنها نهارا ، وليلا في فراش التاجر ، ثم حاولت الفأرة إقناع البرغوث بسرقة دنانير التاجر الذهبية ؛ فتعلل البرغوث بضعفه وعجزه عن سرقة هذه الدنانير ، وكان ذلك دليلا على فطنة البرغوث . وسرد الثعلب لهذه الحكاية كان إقناعا لصداقته مع الغراب ، ولكن الغراب كان نبيها فطنا فأعلن للثعلب أنه خائن وماكر ، وقد مكر بالذئب وهو من بني جنسه ؛ فالغراب لا يأمن الثعلب ولا يثق فيه . فالحكاية تضمر نسقا رمزيا وهو عدم التغافل عن العدو ، وعدم الثقة في خديعته وحيله . فالثعلب رمز للعدو الذي يتظاهر بالسلام ، والغراب يرمز للحيطة واليقظة من العدو ؛ فهو طائر حكيم ، وقصته في القرآن الكريم تؤكد ذكاء هذا المخلوق الذي علم الإنسان درسا مهما في قصة ابني آدم عليه السلام .

ثم حكى الغراب للثعلب حكاية الصقر والعصفور ، وهي حكاية ترمز إلى عدم إلزام النفس بما لا تطيق ، فالإنسان لا يكلف نفسه فوق طاقتها ؛ فمن فعل ذلك أهلك نفسه . والعصفور في تلك الحكاية يمثل العاجز الذي يلزم نفسه فوق طاقتها ، ثم يعجز ويقع في المهالك بسبب سوء فعله وقلة تبصره بالأمور . ثم انتهى أمر الثعلب بفشله في خداع الغراب فرحل إلى وكره .

يقول السارد : " زعموا أن صقرا كان جبارًا عنيدًا أيام شبيبته، وكانت سباع البر وسباع الطير تفزع منه، ولا يسلم من شره أحد، وله حكايات كثيرة في ظلمه وتجبره، وكان دأب هذا الصقر الأذى لسائر الطيور، فلما مرت عليه السنون ضعف وجاع، واشتد جهده بعد فقد قوته، فأجمع رأيه على أن يأتي مجمع الطير فيأكل ما يفضل منها، فعند ذلك صار قوته بالحيلة بعد القوة والشدة، وأنت كذلك أيها الثعلب، إن عدمت قوتك ما عدمت خداعك، ولست أشك في أن ما تطلبه من صحبتي حيلة على قوتك، فلا كنت ممن يضع يده في يدك؛ لأن الله أعطاني قوة في جناحي، وحذرا في نفسي، وبصرا في عيني، واعلم أن من تشبه بأقوى منه تعب، وربما هلك، وأنا أخاف عليك إن تشبهت بمن هو أقوى منك أن يجري لك ما جرى للعصفور. قال الثعلب: وما جرى للعصفور؟ فبالله عليك أن تخبرني به. فقال الغراب: بلغني أن عصفورا كان طائرًا بمراح غنم، فنظر إلى المراح وإذا بعقاب كبير انقض على رئيس من صغار أولاد الغنم فاختطفه بمخالبه وطار، فلما رآه العصفور نشر جناحه وقال: أنا أفعل مثل ما فعل هذا. وأعجبته نفسه وتشبه بمن هو أكبر منه فطار لوقته وانقض على كبش سمين له صوف كثير، وقد تلبد صوفه من رقاده على بوله وروثه، فصار صوفه مثل البزاق؛ فلما انقض على ظهره صفق بجناحيه، فاشتبكت رجلاه في الصوف، فأراد أن يطير فلم يستطع الطيران، وقد حصل كل هذا والراعي ينظر ما جرى لهما، فرجع إليه الصقر غضبانًا، فقبضه ونتف أجنحته وربط في رجليه خيطا وأتى به إلى أولاده ورماه لهم. فقال بعض الأولاد: ما هذا؟ فقال: هذا تشبه بمن هو أعلى منه فهلك وأنت كذلك أيها الثعلب، أحذرك أن تتشبه بمن هو أقوى منك فتهلك، هذا ما عندي من الكلام، واذهب عني بسلام. فلما يئس الثعلب من مصادقة الغراب، رجع عن حزنه يئن، وقرع للندامة

(١) ألف ليلة وليلة ، ج٢ ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

سنا على سن، فلما سمع الغراب بكاءه وأنه، ورأى كآبته وحزنه، قال: أيها الثعلب، ما نابك حتى قرعت نابك ؟ قال له الثعلب: إنما قرعت سني لأني رأيتك أخدع مني. ثم إنه ولى هاربًا، ورجع إلى جحره طالبا " [١] ,

وفي القصة السابقة نجد سعي الهوية إلى تحقيق رغبة ما أو التواصل مع ذات أخرى قد تصطدم بمعوقات تحتاج إلى التغلب عليها ، ويكون ذلك من خلال مساعدة تقدم إلى الذات من طرف المعين . ودور المساعد هو القيام بمعاونة الذات على تحقيق الهدف ، ودور المعارض هو الحيلولة دون تحقيق الرغبة ، وهو دور أساس في سرد الحكاية لأنه يشكل صورة أكثر تعقيدا ما دام يعين في الوقت نفسه ما يسمى بالذات المضادة [٢] . إن الهوية المغايرة للمكان لا تكتمل ملامح صورتها في ذهن المتلقي إلا مع نهاية أحداث الحكاية، أي بعد اكتمال الأدوار التي تؤديها الهوية في الحكاية . كما أن تحديد وظيفة الهوية في السرد له أهميته ؛ فالوظائف هي التي تحدد العلاقات المتشابكة بين الهويات وما تقوم به من أحداث تدفع إلى تطور حبكة الحكاية ؛ فالهوية تتحدد من خلال العلاقات التي تنسجها مع هويات أخرى داخل الحكاية ، وما سبق من سرد الحكاية يرسخ في ذهن المتلقي صورة الثعلب الماكر والغراب الفطن . كما أن الجانب الرمزي في الحكايات داخل حكاية الثعلب والغراب يؤكد على نسق الحكاية ، وهو الحذر من العدو ، وعدم الانخداع في تظاهره بالسلام والمحبة ، وهذا يؤكد على ضرورة الحذر من الأعداء ، والفطنة إلى مكرهم .

وفي حكاية القنفذ والورشان يتجلى سوء تدبر الأمور ، والانخداع بظاهر الكلام في وقع طائر الورشان وزوجته في جحر القنفذ بعد أن خدعهما بصلاحه وتقواه ، يقول السارد : " إن قنفذا اتخذ مسكنا بجانب نخلة، وكان الورشان هو وزوجته قد اتخذا عشا في تلك النخلة، وعاشا فوقها عيشا رغدًا، فقال القنفذ في نفسه: إن الورشان يأكل من ثمر النخلة، وأنا لا أجد إلى ذلك سبيلا، ولكن لا بد من استعمال الحيلة. ثم حفر في أسفل النخلة بيتا واتخذه مسكنا له ولزوجته، واتخذ جانبه مسجدًا، وانفرد فيه وأظهر النسك والعبادة وترك الدنيا، وكان الورشان يراه متعبدًا مصليا، فرق له من شدة زهده وقال له: كم سنة وأنت هكذا ؟ قال : مدة ثلاثين سنة. قال: ما طعامك؟ قال: ما يسقط من النخلة. قال: ما لباسك ؟ قال : شوك أنتفع بخشونته فقال: وكيف اخترت مكانك هذا على غيره؟ **قال: اخترته** على غير طريق لأجل أن أرشد الضال وأعلم الجاهل. فقال له الورشان كنت أظن أنك على غير هذه الحالة، ولكني الآن رغبت فيما عندك. فقال القنفذ: إني أخشى أن يكون قولك ضد فعلك، فتكون كالزارع الذي لما جاء وقت الزرع قصر في بذره وقال: إني أخشى أن يكون أوان الزرع قد فات؛ فأكون قد أضعتُ المال بسرعة البذر. فلما جاء وقت الحصاد ورأى الناس وهم يحصدون، ندم على ما فاته من تقصيره ومن تخلفه، ومات أسفا وحزنًا " [٣]،

فالهوية الفاعلة في المقطع السابق وهي حيوان القنفذ تعطي الحركة في القصة، وهذه الحركة تكون وليدة رغبة في خديعة الطائر والاستيلاء على الطعام . والموضوع يمثل الهدف المقصود أو المرغوب فيه، وهو خديعة الطائر ، والهوية في حالة الرغبة تكون في حال ترقب للسيطرة على الأمور من خلال نجاح خديعتها وسعيها لافتراس الطائر وزوجته بعد خداعه من خلال تظاهر القنفذ بالصلاح والزهد في الحياة .

---

(١) ألف ليلة وليلة ، ج٢ ، ص ١٢٩ – ١٣٠ .
(٢) ينظر : سعيد بنكراد ، السميائيات السردية (مدخل نظري) ، ص ٨٥ – ٨٦ .
(٣) ألف ليلة وليلة ، ج٢ ، ص ١٣٠ - ١٣١

يقول السارد : " فقال الورشان للقنفذ وماذا أصنع حتى أتخلص من علائق الدنيا، وأنقطع إلى عبادة ربي ؟ قال له القنفذ خذ في الاستعداد للمعاد، والقناعة بالكفاف من الزاد. فقال الورشان كيف لي بذلك وأنا طائر لا أستطيع أن أتجاوز النخلة التي فيها قوتي، ولو استطعت ذلك ما عرفت موضعا أستقر فيه ؟ فقال القنفذ يمكنك أن تنثر من ثمر النخلة ما يكفيك مئونة عام أنت وزوجتك، وتسكن في وكر تحت النخلة لالتماس حسن إرشادك، ثم مل إلى ما نثرته من الثمر فانقله جميعه وادخره قوتًا للعدم، وإذا فرغت الثمار وطال عليك المطال، صر إلى كفاف من العيش. فقال الورشان: جزاك الله خيرا حيث ذكرتني بالمعاد وهديتني إلى الرشاد، ثم تعب الورشان هو وزوجته في طرح الثمر حتى لم يبق في النخلة شيء، فوجد القنفذ ما يأكل، وفرح به وملأ مسكنه من الثمر وادخره لقوته، وقال في نفسه إن الورشان هو وزوجته إذا احتاجا إلى مئونتهما طلباها مني، وطمعا فيما عندي وركنا إلى تزهدي وورعي، فإذا سمعا نصيحتي ووعظي دنيا مني فأقتنصهما ويخلو لي هذا المكان، وكل ما تساقط من ثمر النخلة يكفيني. ثم إن الورشان نزل هو وزوجته من فوق النخلة بعد أن نثرا ما عليها من الثمر فوجدا القنفذ قد نقل جميع ذلك إلى جحره، فقال له الورشان: أيها القنفذ الصالح والواعظ الناصح، إنا لم نجد للثمر أثرًا، ولا نعرف لقوتنا غيره ثمرا. فقال: لعله طارت به الرياح، والإعراض عن الرزق إلى الرازق عين الفلاح؛ فالذي شق الأشداق لا يتركها بلا أرزاق. وما زال يعظهما بتلك المواعظ ويُظهر لهما الورع بزخرف الملافظ حتى ركنا إليه وأقبلا عليه، ودخلا باب وكره وأمنا من مكره، فوثب إلى الباب وقرع الأنياب " (١) ,

فهوية القنفذ تم تقديمها وهي تصنع الأحداث ؛ ففعل الهوية يؤدي إلى تنامي في سير الحكاية تطور في الأحداث ، كما أنه وسيلة مهمة تتيح للقارئ التعرف على الهوية وهي تتحرك داخل الحكاية . وأفعال الهوية دلت على مكرها وخداعها ، ونجاحها في النهاية في استدراج الطائر وزوجته إلى مسكن القنفذ ، وكان ذلك بعد نجاح القنفذ في اصطياد الطائرين من خلال التظاهر بالصلاح وصدق النصيحة . كما أن السارد أطلعنا على سوء مكر القنفذ من خلال عبارة (وما زال يعظهما بتلك المواعظ ويُظهر لهما الورع بزخرف الملافظ حتى ركنا إليه وأقبلا عليه) . فالعبارة السابقة من قبيل كشف السارد للهوية من خلال أفكارها وأحوالها النفسية ، واستبطانها الداخلي المؤثر في سلوكها العدواني ضد الطائرين .

وفي حكاية حمار الوحش والثعلب خرج ثعلبان للبحث عن رزقهما خارج ديارهما ، وقد شجع الثعلب الأول صديقه الثاني على أكل قلب حمار وحش لأنه يدفع الجوع عدة أيام ، ولما وجد الثعلب الثاني حمارا ميتا أمام وكره شق بطنه حتى وصل إلى قلبه ثم أكل منه ، وكان الحمار قد أصيب بسهام الصياد ثم مات . ولما أكل الثعلب من قلب الحمار دخلت بقية السهم في فمه فمات ، وكانت حياته ثمنا لهذا الخطأ الفادح الذي ارتكبه الثعلب .

وتواصل الحمار الوحشي مع الثعلب هو تواصل يقوم بين المرسل والمرسل إليه ، ويتبادلان عبره المعلومات " محور التواصل الذي يقوم بين المرسل والمرسل إليه ، وهو الذي يتبادلان عبره بيانات أو معلومات . فالمرسل يحيط المرسل إليه علما بشيء ما . ومثل هذا النموذج الأول يسمح لنا أن نرى بعدا تواصليا في كل أنواع الخطاب ، على اعتبار أن أية ممارسة قولية تنقل معلومات . لكن عند إجراء هذا التبادل فإن المشتركين في التواصل ، أي المرسل والمرسل إليه يعقدون اتفاقا حول

(١) ألف ليلة وليلة ، ج٢ ، ص ١٣١ .

قيمة التي يتبادلونها . ويطلق على هذا الاتفاق : العقد الأولي ، وهو يفترض في التحول السردي عملية معرفية يتم عقبها اقتراح وقبول قيمة ما " [١] .

يقول السارد : " بلغني أيها الملك أن ثعلبا كان يخرج كل يوم من وطنه ويسعى على رزقه فبينما هو ذات يوم في بعض الجبال وإذا بالنهار قد انقضى وقصد الرجوع، فاجتمع على ثعلب رآه ماشيًا وصار كل منهما يحكي لصاحبه حكايته مع ما افترسه، فقال أحدهما: إنني بالأمس وقعت في حمار وحش، وكنت جائعًا وكان لي ثلاثة أيام ما أكلت، ففرحت بذلك وشكرت الله تعالى الذي سخره لي، ثم إني عمدت إلى قلبه فأكلته وشبعت، ثم رجعت إلى وطني ومضى على ثلاثة أيام لم أجد شيئًا أكله، ومع ذلك أنا شبعان إلى الآن. فلما سمع الثعلب الحكاية حسده على شبعه وقال في نفسه: لا بد لي من أكل قلب حمار الوحش. فترك الأكل أياما حتى انهزل وأشرف على الموت وقصر سعيه واجتهاده وربض في وطنه فبينما هو في وطنه ذات يوم من الأيام، وإذا بصيادين ماشيين قاصدين الصيد، فوقع لهما حمار وحش، فأقاما النهار كله في إثره طردًا، ثم إن أحدهما رماه بسهم مشعب فأصابه ودخل جوفه واتصل بقلبه فقتله مقابل وكر الثعلب المذكور، فأدركه الصيادان فوجداه ميتا، فأخرجا السهم الذي أصابه في قلبه فلم يخرج إلا العود وبقي السهم مشعبًا في بطن حمار الوحش. فلما كان المساء خرج الثعلب من وطنه وهو يتضجر من الضعف والجوع، فرأى حمار الوحش على بابه طريحًا، ففرح فرحا شديدًا حتى كاد يتضجر من الضعف والجوع فرأى حمار الوحش على بابه طريحًا، ففرح فرحا شديدًا حتى كاد أن يطير من الفرح فقال: الحمد لله الذي يسر لي شهوتي من غير تعب؛ لأني كنتُ لا أرجو أني أصيب حمار وحش ولا غيره، ولعل الله أوقع هذا وساقه إلي في موضعي. ثم وثب عليه وشق بطنه وأدخل رأسه وصار يجول بفمه في أمعائه إلى أن وجد القلب فالتقمه بفمه وابتلعه، فلما صار داخل حلقه اشتبك شعب السهم في عظم رقبته ولم يقدر على إدخاله في بطنه ولا على إخراجه من حلقه وأيقن بالهلاك. فلهذا أيها الملك ينبغي للإنسان أن يرضى بما قسمه الله له ويشكر نعمه عليه ولا يقطع رجاءه من مولاه " [٢],

فالحكاية السابقة فيها دلالات رمزية لخطورة الطمع والوقوع في براثن المخادعين ؛ فالثعلب صدق صديقه الماكر ، وأكل من قلب الحمار ثم مات . والنسق المضمر في هذه الحكاية هو خطورة الطمع على حياة الإنسان ؛ فالبعض يغامر طمعا في مال ورزق وفير دون أن يدرك خطورة هذا المجهول ؛ فيدفع حياته ثمنا لهذا الطمع . إن هذه الحكاية اتخذت من الثعلبين رمزا للطمع والجشع ، والطمع من مساوئ الأخلاق ، والسرد فيه تلميح بهذه الأخلاق الذميمة ، وأوضح السارد وجهة نظره في قوله (ينبغي للإنسان أن يرضى بما قسمه الله له ويشكر نعمه عليه ولا يقطع رجاءه من مولاه) . كما أن تلقي القارئ للحكاية يحيله إلى حكايات أخرى تنقد خلق الطمع ، وهذا التلقي يثير استجابة القارئ لرمزية الحكاية .

(١) صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، سلسلة عالم المعرفة ، دولة الكويت ، العدد ١٦٤ ، أغسطس ١٩٩٢م ، ص ٢٩٢ .

(٢) ألف ليلة وليلة ، ج٦ ، ص ١١٥ .

المحور الرابع : نسق حماية الوطن :

وفي حكاية الغراب اتفقت مجموعة الغربان على اختيار ملك لهم بعد موت ملكهم الصالح ، واتفقوا على اختيار أسرعهم في الطيران ، ثم خرج عليهم باز جارح فجعلوه ملكا عليهم . . ثم قام الباز بقتل كبار الغربان ؛ فأدركت مجموعة الغربان خطورة الباز عليهم فتركوه ورحلوا عنه .

يقول السارد : " كان في بعض البراري واد متسع، وكان به أنهار وأشجار وأثمار، وبه طيور تسبح الله الواحد القهار، خالق الليل والنهار، وكان من جملة الطيور غربان، وكانوا في أطيب عيش، وكان المقدم عليهم والحاكم بينهم غراب رؤوف بهم شفوق عليهم، وكانوا معه في أمان وطمأنينة، ومن حسن تصريفهم فيما بينهم لم يكن أحد من الطيور يقدر عليهم، فاتفق أن مُقدّمهم توفي وجاءه الأمر المحتوم على سائر الخلق، فحزنوا عليه حزنا شديدًا، ومن زيادة حزنهم أنه لم يكن فيهم أحد مثله يقوم مقامه، فاجتمعوا جميعًا وتشاوروا فيما بينهم . فيمن يقوم عليهم بحيث يكون صالحًا؛ فطائفة منهم اختارت غرابا وقالوا: إن هذا يصلح أن يكون ملكًا علينا، وآخرون اختلفوا فيه ولم يريدوه، فوقع بينهم الشقاق والجدال، وعظمت الفتنة بينهم، وبعد ذلك حصل بينهم توافق وتعاهدوا على أن يناموا تلك الليلة ولا يبكر أحد إلى السروح في طلب المعيشة غدًا، بل يصبرون جميعًا إلى الصباح، وعند الفجر يكونون مجتمعين في موضع واحد، ثم ينظرون إلى كل طير يسبق في الطيران، وقالوا: إنه هو الذي يكون مختارا عندنا للملك، فنجعله ملكًا علينا ونوليه أمرنا فرَضُوا كلهم بذلك وعاهد بعضهم بعضا، واتفقوا على هذا العهد. فبينما هم على ذلك الحال إذ طلع باز، فقالوا له: يا أبا الخير نحن اخترناك واليا علينا لتنظر في أمرنا فرضي الباز بما قالوه، وقال لهم: إن شاء الله تعالى سيكون لكم مني خير عظيم. ثم إنهم بعدما ولوه عليهم صار كل يوم إذا سرح وسرح الغربان يستفرد بأحدهم ويضربه، ويأكل دماغه وعينيه ويترك الباقي، ولم يَزَلْ يفعل معهم هكذا حتى فطنوا به، فرأوا غالبهم قد هلك، فأيقنوا بالهلاك وقال بعضهم لبعض: كيف نصنع وقد هلك أكثرنا، وما انتبهنا حتى هلك أكابرنا ؟ فينبغي لنا أن نتحفظ لأنفسنا. فلما أصبحوا نفروا منه وتفرقوا من حوله. ونحن الآن نخشى أن يقع لنا مثل هذا ويصير علينا ملك غيرك، ولكن قد مَنَّ الله علينا بهذه النعمة ووجهك إلينا، ونحن واثقون الآن بالصلاح، وجمع الشمل والأمن والأمانة والسلامة في الوطن، فتبارك الله العظيم، وله الحمد والشكر والثناء الجميل " [١] ,

فالحكاية السابقة ترمز إلى نسق مضمر وهو يشير إلى خطورة الثقة في أعداء الوطن ، ويمثلهم الباز ؛ فالعدو يسعى إلى امتلاك خيرات البلاد ، ووجب على أبناء الوطن الدفاع عنه ، والجهاد من أجله ، والتضحية بالأرواح من أجل حمايته من الأخطار الخارجية ،كما أن الحكاية ركزت على سلامة الوطن من خلال تماسكه الداخلي . ويمكن القول إن هذه الحكاية فيها نزعة سياسية تقوم على أطروحة الدعوة إلى أفكار سياسية معينة ، وتفنيد غيرها ؛ مما يفسح المجال أكثر لحوارات تتخذ شكل مجادلات سياسية رمزية وهي الدفاع عن الوطن . فحين يطرح الراوي – شهرزاد - نقدا سياسيًا مضمرا ضد السلطة – شهريار - ؛ فإنه يقدم رؤية مستنيرة وملتزمة له . أي أن رؤية الراوي تقدم نقدا للواقع ، وفي الوقت نفسه تستشرف مستقبل أمن الوطن من خلال حمايته من الأعداء المتربصين به .

(١) ألف ليلة وليلة ، ج٦ ، ص ١٢٢ .

وفي حكاية العنكبوت والريح نسق مضمر لحب الوطن ، ويمثل ذلك : أنثى العنكبوت التي قذفت بها الريح خارج وطنها ، ثم عادت إليه في نهاية الحكاية . فأنثى العنكبوت هنا تمثل المواطن المحب لوطنه ، وهيئة العنكبوت هيئة ضعيفة ، ولكن التمسك بالوطن يجعل هذه الهيئة قوية ومتشبثة بوطنها ، ومدافعة عن وجوده .

يقول السارد : " إن عنكبوتة تعلقت في باب عال وعملت لها بيتا وسكنت فيه بأمان، وكانت تشكر الله تعالى الذي يسر لها هذا المكان وآمن خوفها من الهوام، فمكثت على هذا الحال مدة من الزمان، وهي شاكرة الله على راحتها واتصال رزقها، فامتحنها خالقها بأن أخرجها لينظر شكرها وصبرها، فأرسل إليها ريحًا عاصفًا شرقية فحملتها ببيتها ورمتها في البحر، فجرتها الأمواج إلى البر، فعند ذلك شكرت الله تعالى على سلامتها وجعلت تعاتب الريح قائلة لها: أيتها الريح، لم فعلت بي ذلك ؟ وما الذي حصل لك من الخير في نقلي من مكاني إلى هنا؟ وقد كنتُ آمنة مطمئنة في بيتي بأعلى ذلك الباب؟ فقالت لها الريح: انتهي عن العتاب، فإني سأرجع بك وأوصلك إلى مكانك كما كنت أولا. فلبثت العنكبوتة صابرة على ذلك راجية أن ترجع إلى مكانها حتى ذهبت ريح الشمال ولم ترجع بها، وهبت ريح الجنوب فمرَّتْ بها واختطفتها وطارت بها إلى جهة ذلك البيت، فلما مرت به عرفته فتعلقت به " (١) .

فالحكاية السابقة تشير إلى الحفاظ على الوطن والتمسك به ؛ فليس للإنسان مكان آمن يعيش فيه بعد وطنه . وريح الشمال تمثل قوة عاتية اقتلعت أنثى العنكبوت من وطنها ، وهي نسق مضمر لكل العوامل الخارجية التي تسعى للسيطرة على الإنسان وتجنيده ضد وطنه ، وهذه العوامل تشبه اتجاه العولمة الثقافية في عصرنا هذا ، وهي تسعى لمسخ الهويات والثقافات ؛ لتخلق ثقافة جديدة منحرفة عن الفطرة والتعاليم الإسلامية (٢).

وفي حكاية الثعلب والذئب نسق مضمر لمن يذهب لغير بني جلدته ، ويجعله سلطانا عليه . والذئب يمثل الغريب الذي رضي به الثعالب حكما بينهم في طعامهم ، ولكن الذئب كان ماكرا فخدع الثعالب وأخذ الطعام لنفسه ، وفي نهاية الحكاية نجح الثعالب في الوصول إلى الطعام من خلال استنجادهم بالأسد .

يقول السارد : " زعموا أن جماعة من الثعالب خرجوا ذات يوم يطلبون ما يأكلون، فبينما هم يجولون في طلب ذلك، وإذا هم بجمل ميت، فقالوا في أنفسهم قد وجدنا ما نعيش به زمانا طويلا، ولكن نخاف أن يبغي بعضنا على بعض، ويميل القوي بقوته على الضعيف فيهلك الضعيف منا، فينبغي لنا أن نطلب حكمًا يحكم بيننا ونجعل له نصيبًا، فلا يكون للقوي سلطة على الضعيف، فبينما هم يتشاورون في شأن ذلك، وإذا بذئب أقبل عليهم، فقال بعضهم لبعض: إن أصاب رأيكم فاجعلوا هذا الذئب حكما بيننا؛ لأنه أقوى الناس وأبوه سابقا كان سلطانا علينا، ونحن نرجو من الله أن يعدل بيننا. ثم إنهم توجهوا إليه وأخبروه بما صار إليه رأيهم وقالوا : لقد حكمناك بيننا لأجل أن تعطي كل واحد منا ما يقوته في كل يوم على قدر حاجته، لئلا يبغي قوينا على ضعيفنا فيُهلك بعضنا بعضا، فأجابهم الذئب إلى قولهم وتعاطى أمورهم، وقسم عليهم في ذلك اليوم ما كفاهم. فلما كان من الغد قال الذئب

(١) ألف ليلة وليلة ، ج٦ ، ص ١٢٧ .
(٢) ينظر : . مولود زايد الطبيب ، العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي ، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، بنغازي ، ليبيا ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص ٢٧ – ٢٨ ،

في نفسه إن قسمة هذا الجمل بين هؤلاء العاجزين لا يعود علي منها شيء إلا الجزء الذي جعلوه لي، وإن أكلته وحدي فهم لا يستطيعون لي ضرا، مع أنهم غنم لي ولأهل بيتي، فمن الذي يمنعني عن آخذ هذا لنفسي؟ ولعل الله مسببه لي بغير جميلة منهم فالأحسن لي أن أختص به دونهم، ومن هذا الوقت لا أعطيهم شيئًا. فلما أصبح الثعالب جاءوا إليه على العادة يطلبون منه قوتهم، فقالوا له: يا أبا سرحان، أعطنا مئونة يومنا. فأجابهم قائلا : ما بقي عندي شيء أعطيه لكم. فذهبوا من عنده على أسوأ حال، ثم قالوا: إن الله أوقعنا في هم عظيم مع هذا الخائن الخبيث الذي لا يتقي الله ولا يخافه، وليس لنا حول ولا قوة. ثم قال بعضهم لبعض: إنما حمله على هذا الأمر ضرورة الجوع، فدعوه اليوم يأكل حتى يشبع وفي غد نذهب إليه. فلما أصبحوا توجهوا إليه وقالوا له: يا أبا سرحان إنما ولينالك علينا لأجل أن تدفع لكل واحد منا قوته وتنصف الضعيف من القوي، وإذا فرغ تجتهد لنا في تحصيل غيره، ونصير دائما تحت كنفك ورعايتك، وقد مسنا الجوع ولنا يومان ما أكلنا، فأعطنا مئونتنا وأنت في حل من جميع ما تتصرف فيه من دون ذلك. فلم يرد عليهم جوابًا، بل ازداد قسوة، فراجعوه فلم يرجع، فقال بعضهم لبعض: ليس لنا حيلة إلا أننا ننطلق إلى الأسد ونرمي أنفسنا عليه، ونجعل له الجمل، فإن أحسن لنا بشيء منه كان من فضله، وإلا فهو أحق به من هذا الخبيث. ثم انطلقوا إلى الأسد وأخبروه بما حصل لهم مع الذئب، ثم قالوا له: نحن عبيدك، وقد جئناك مستجيرين بك لتخلصنا من هذا الذئب ونصير لك عبيدا. فلما سمع الأسد كلام الثعالب أخذَتْه الحَمِيَّة ، ومضى معهم إلى الذئب، فلما رأى الذئب الأسد مقبلا طلب الفرار من قدامه، فجرى الأسد خلفه وقبض عليه ومزقه قطعا، ومكن الثعالب من فريستهم " [(١)] ,

فالحكاية السابقة فيها رموز لأنساق مضمرة ؛ فالجمل يمثل خيرات الوطن ، والثعالب تمثل المواطنين ، والذئب يمثل العدو ، والأسد يمثل القوة المدافعة عن الوطن . فما أراده السارد من وراء حكايته هو الاعتماد على القوة والتحالف وجمع الشمل ضد الأعداء ، كما أن السرد ألمح إلى خطورة الثقة في الأجنبي الذي يبطن في نفسه رغبته في السيطرة على الآخرين ، والسيطرة على بلادهم ، وهذا ما كان في الغزوات الصليبية التي جاءت إلى بلاد المشرق الإسلامي طمعا في أموال بيت المقدس ، وليس لنصرة النصارى الشرقيين ؛ فهؤلاء كانوا يعيشون في سلام بين المسلمين . فالنسق المضمر في الحكاية : هو الحذر والحيطة من الأعداء الأجانب ، وعدم الركون إليهم ؛ إذ لا عهد لهم ولا ذمة .

إن الحكايات السابقة من حكايات الحيوانات والطيور رمزت إلى عدة أنساق مضمرة ، مثل نسق الصداقة ، وهذا كان في حكاية السلحفاة وطائر الماء . ونسق القهر في حكاية الثعلب والذئب الأولى ، ونسق الحذر من الخديعة ، مثل حكاية الثعلب والغراب ، ونسق حماية الوطن ، مثل حكاية الغراب ، وحكاية العنكبوتة ، وحكاية الثعلب والذئب الثانية .

ويمكن القول إن حكايات الحيوانات في (ألف ليلة وليلة) حكايات مهم ذات أنساق مضمرة مختلفة ، وكانت هذه الحكايات معبرة عن رؤية شهرزاد المضمرة وراء تلك الحكايات ، وهي رؤية ناقدة لزوجها الملك المتعطش لسفك الدماء وقتل النساء . وفي حكايات الحيوانات أنساق مضمرة ، ومن هذه الأنساق : سعادة المظلوم بموت الظالم والتخلص من ظلمه وبطشه ، كما أن إحدى الحكايات أشارت إلى دور العقل والحكمة في النجاة من الخطر ؛ فالعقل والحكمة يحميان الإنسان من سوء

(١) ألف ليلة وليلة ، ج٦ ، ص

أفعاله الطائشة ، والتي قد يرتكبها من دون تدبر لعواقبها . وفي بعض حكايات الحيوان طرح لفكرة الحذر من العدو ، وعدم الغفلة عنه . ففي الغفلة عن العدو خطر عظيم يؤدي إلى ضياع الوطن ، ولو تظاهر العدو بالسلام ، وجب الحذر منه .

الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي خاتم الأنبياء ، وإمام المرسلين، سيدنا محمد وعَلَى آله وصحبه وسلم تسليمًا كَثِيرًا ، أما بعد:

فقد انتهيتُ بفضل الله تعالى من هذه الدِّرَاسَة التي تناولت فيها الحديث عن الهويات المغايرة للمكان في الحكايات والقصص التي وردت على لسان الحيوان في كتاب ألف ليلة وليلة ، ولست أدعي أنني أتيت عَلَى كل ما يمكن أن يقال في هذا المَوضُوع، ولكني التزمت بحدود الخطة والمَنْهَج حسبما بيَّنت في المُقَدِّمَة للسير في هذه الدِّرَاسَة بما يفيد القَارِئ.

هذا وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج ، كان من أبرزها ما يلي :

أولا : جاءت الحكاية على لسان الحيوان وهي من الحكايات الرمزية لانتقاد السلطة الحاكمة، وهذا الأسلوب مشابه لأسلوب (كليلة ودمنة) ، فيعمد السارد إلى أسلوب الرمز هروبا من عقاب السلطة الحاكمة التي لا تقبل انتقادا من المحكومين ، أو الطبقة المثقفة من المحكومين ، ويمثلها : الأدباء والشعراء والخطباء . فمن القهر: هدر السلطة للأدباء والمثقفين، وبطشها بأصحاب الفكر المستنير من المثقفين؛ فالأنظمة القمعية القديمة تعمدت إلى قهر المثقفين من أجل السيطرة على المحكومين .

ثانيا : في حكاية (السلحفاة) ، مثل ذكر السلحفاة صوت العقل والصديق الوفي الناصح ، والصداقة من الأمور التي يحتاجها الإنسان ولا يستغني عنها ؛ فالصديق المؤمن مرآة أخيه ، والصديق الصالح مثل حامل المسك ، والصديق السوء مثل نافخ الكير أو الحداد . والنسق المضمر هنا يتمثل في حسن اختيار الصديق في ديار الغربة بعد مغادرة الوطن ؛ فإن الصديق الوفي في بلاد الغربة يمثل أخا ومعينا لصديقه .

ثالثا : جسدت حكاية (الذئب والثعلب) قهر الذئب للثعلب ، والذئب رمز للمستبد ، والثعلب رمز للمقهور الذي لا يملك حيلة للخروج من دائرة هيمنة الظالم المستبد عليه . فالهوية المقهورة تعجز عن تحقيق ذاتها في محيطها الاجتماعي ؛ فتبطش بعض الفئات المتسلطة بالفئات المستضعفة ، وهذا يعكس خللا اجتماعيا ؛ ففي مجتمعات القهر يفرض على المرء القمع والطغيان والطاعة العمياء من دون نقاش ، ويغرس في الإنسان الانكسار الذي يجعل من الفرد تربة خصبة للقهر .

رابعا : الهوية المغايرة للمكان في حكايات الحيوان لا تكتمل ملامح صورتها في ذهن المتلقي إلا مع نهاية أحداث الحكاية ، أي بعد اكتمال الأدوار التي تؤديها الهوية في الحكاية . كما أن تحديد وظيفة الهوية في السرد له أهميته ؛ فالوظائف هي التي تحدد العلاقات المتشابكة بين الهويات وما تقوم به من أحداث تدفع إلى تطور حبكة الحكاية ؛ فالهوية تتحدد من خلال العلاقات التي تنسجها مع هويات أخرى داخل الحكاية ، وما سبق من سرد الحكاية يرسخ في ذهن المتلقي صورة الثعلب الماكر والغراب الفطن . كما أن الجانب الرمزي في الحكايات داخل حكاية الثعلب والغراب يؤكد على نسق الحكاية ، وهو الحذر من العدو ، وعدم الانخداع في تظاهره بالسلام والمحبة ، وهذا يؤكد على ضرورة الحذر من الأعداء ، والفطنة إلى مكرهم .

خامسا : إن حكايات الحيوانات في (ألف ليلة وليلة) حكايات مهمة ذات أنساق مضمرة مختلفة ، وكانت هذه الحكايات معبرة عن رؤية شهرزاد المضمرة وراء تلك الحكايات ، وهي رؤية ناقدة لزوجها الملك المتعطش لسفك الدماء وقتل النساء . وفي حكايات الحيوانات أنساق مضمرة ، ومن هذه الأنساق : سعادة المظلوم بموت الظالم والتخلص من ظلمه وبطشه ، كما أن إحدى الحكايات أشارت إلى دور العقل والحكمة في النجاة من الخطر ؛ فالعقل والحكمة يحميان الإنسان من سوء أفعاله الطائشة ، والتي قد يرتكبها من دون تدبر لعواقبها . وفي بعض حكايات الحيوان طرح لفكرة الحذر من العدو ، وعدم الغفلة عنه . ففي الغفلة عن العدو خطر عظيم يؤدي إلى ضياع الوطن ، ولو تظاهر العدو بالسلام ، وجب الحذر منه .

مصادر ومراجع الدراسة :

عزّ الدين عناية، الهُويَّات المستنفرة ومعارج الإيلاف، موقع إلكتروني،٢٠٢١/٥/٢٠، تاريخ الزيارة،٢٠٢٤/٨/٢٠.

ألف ليلة وليلة ، دار هنداوي ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ٢٠٢٢م .

سلافة صائب خضير تسليم، أبعاد المكان وأثرها، مجلة فصلية مُحكَّمة، السَّنة الثَّالثة، المجلَّد الخامس، العدد: التاسع والعاشر، ٢٠١٩م .

حسن بحراوي، بِنية الشَّكل الرِّوائي، الفضاء والزَّمان، الشَّخصية. دار الحداثة للطَّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، لبنان ط١، ١٩٨٦م

أليكس ميكشللي، الهوية، ترجمة: عليّ وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط١، ١٩٩٣م .

مجموعة مؤلفين ، القانون الدَّولي الخاص، في الجنسية والمُواطن ومركز الأجانب، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١١، ١٩٨٧م .

حسام الدين فتحي ناصف، مشكلات الجنسية، دراسة مقارنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م .

حسام الدين فتحي ناصف، مشكلات الجنسية، دار النَّهضة العربية، القاهرة،٢٠٠٧م .

المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، مجمع اللغة العربية. القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م .

مصطفى حجازي ، الإنسان المهدور (دراسة تحليلية نفسية اجتماعية) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

إنزو باتشي، الإسلام في أوروبا، أنماط الاندماج، ترجمة : عزّ الدين عناية، كلمة، أبو ظبي، ٢٠١٠ .

نيقولاي برديائف ، العزلة والمجتمع ، ترجمة : فؤاد كامل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

فلاديمير بورب ، مورفولوجيا القصة ، ، ترجمة عبد الكريم حسن وسميرة بن عمو، شراع للطباعة والنشر، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

حميد لحمداني ، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩١م .

سعيد بنكراد ، السميائيات السردية (مدخل نظري) ، سلسلة كتاب الجيب، العدد ٢٩ ، جريدة الزمن ، الرباط ، المغرب ، ٢٠٠١م .

صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، سلسلة عالم المعرفة ، دولة الكويت ، العدد ١٦٤ ، أغسطس ١٩٩٢م.

مولود زايد الطبيب ، العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي ، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، بنغازي ، ليبيا ، ط١ ، ٢٠٠٥م .